

إن الحجاب هو أحد أهم القضايا الإسلامية لذلك فإن واجبنا تجاه الأجيال الجديدة القادمة أن نربيهم عليه وأن نتدارك أمرها بتعليمها حب الحجاب منذ الصغر، فتنشأ الفتاة وهي تلم بيوم بلوغها سن التكليف تتشرف بارتداء حجابها، إرضاء لربها واعتزازاً بعفتها وحياتها.. فتصير لؤلؤة مكنونة وجوهرية مصونة كما أراد لها الله سبحانه! وفيما يلي أحاول أن أوضح للقراء الكرام لماذا من واجب كل أبوين أن يربيا بناتهما على الحجاب وكيف نربي بناتنا على حب الحجاب؟

لماذا نسعى لترغيب بناتنا - منذ الصغر - في الحجاب؟

هناك أسباب عدة تجعل كل أبوين يسعيان في تربية أبناتهما على الحجاب وهي كالتالي:

لأن الآباء والأمهات أو المرابين سوف يقفون بين يدي الله تعالى ويسألهم عن بناتهم كيف ربيهم ولماذا لم يأمرهم بطاعة الله. يقول صلى الله عليه وسلم: 'كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته'.

2- لأن الإسلام يأمر بتدريب الصغار على العبادة قبل التكليف بها أي قبل بلوغهم؛ فالصلاة مثلاً فرض عين على كل مسلم ومسلمة ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بأن ندرّبهم عليها منذ السابعة ونضربهم عليها في العاشرة، وذلك قبل بلوغهم سن التكليف؛ وقد اختص الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة من بين العبادات لكونها عماد الدين والحجاب - كالصلاة - فريضة على المسلمة، بأمر صريح من الله ورسوله.

3- لأننا لو أطلقنا لهن الحرية منذ الصغر في ارتداء ما يشأن - تقليداً لغيرهن من غير الملتزمات - دون حزم أو توجيه فسوف يعتدن هذا، ثم يفاجان - حين يصلن لسن التكليف - بمن يأمرهن بالحجاب، فتكون كالمصدمة بالنسبة لهن، مما يؤدي إلى صعوبة الأمر عليهن وعدم قدرتهن على تنفيذ هذا الأمر.

4- لأنهن لو لم يحببنه ويقنتن به منذ الصغر؛ فقد يرتدينه بالإكراه خوفاً من أولي الأمر، مما يؤدي إلى تحاييلهن - بعيداً عن أعين ولي الأمر - بشتى الطرق لمسخه وإخراجه عن وظيفته.

كيف ندرّب بناتنا على حب الحجاب؟

قبل الزواج: إن أولى وأهم الخطوات هي التي يقوم بها الرجل حين يختار لبناته أمّاً ذات خلق ودين تكون قدوة متحركة؛ فإذا تربت البنات في أحضان هذه الأم كان الحجاب أمراً بديهيّاً بالنسبة لها، وقضية لا جدال فيها، وأمنية غالية ترنو لتحقيقها.

بعد الزواج: على الوالدين أن يبنيّا بيتهما على أساس من الود، والاحترام، والتفاهم حتى ينشأ الأبناء في جو هادئ مستقر؛ مما يبعدهم عن المشكلات النفسية التي تؤدي بهم إلى التنفيس عما يحسون به، بالتمرد والعصيان ومخالفة الأهل.

بعد الوضع، وحتى سنتين: من البداية ينبغي أن تحرص الأم على تعليم ابنتها الحياء لأنه أساس الحجاب، ولأنه كما قال صلى الله عليه وسلم: 'خير كله' إفتح الباري بشرح البخاري - كتاب الإيمان باب 3 فلا تغير الأم حضاضات طفلتها أمام أحد وتعلمها بلطف ومزاج أن تغطي عوراتها؛ وأن لا تخلع ثيابها أمام أحد، ولما تظن الأم أنها صغيرة فالطفل يدرك ولكنه لا يستطيع التعبير، وكلما بدأت معها الأم مبكرة بهذا الأمر كان أفضل.

من ثلاث إلى خمس سنوات: في هذا العمر يكون تقليد الكبار من الأمور المفضلة لدى الطفل، لذا فإن عمل طرحة صغيرة مزركشة بلون تفضله الطفلة وتختاره بنفسها؛ لترتديها؛ حين تصحب والدتها إلى المسجد للصلاة أو حضور درس، أو حين تريد تقليد أمها فتصلي معها أو بمفردها، يكون بمثابة تمهيد لحب ارتدائها فيما بعد. وفي هذا العمر يمكن أن نحفظها ما تيسر من القرآن الكريم. هذا بالإضافة إلى تحفيظها ما تيسر من الحديث النبوي ليكونا ذخراً لها في حياتها المقبلة.

ومن الأفضل أن تقوم الأم بتفصيل ملابس الحجاب للدمية المفضلة لدى ابنتها، تكون ذات ألوان زاهية مزركشة تنتقيها الطفلة،

وتقوم بتغييرها للدمية بنفسها.

ومن المفيد أن تشاركها الأم في اللعب بها وانتقاء غطاء الرأس المناسب للون الجلاب الذي ترتديه الدمية، وفي تلك الأثناء تتحدث الأم إلى الدمية قائلة - مثلاً - 'كم هو الحجاب جميل عليك! أرجو أن تكوني معنا في الجنة إن شاء الله، لأنك تطيعي ربك وتحبي حجابك، فالجنة مليئة بالأشياء الجميلة ومنها اللعب.. فمن خلال اللعب يمكن أن يتعلم الطفل أكثر وبشكل أيسر مما يتعلم بالمتلقين أو الكلام المباشر.

من ست إلى ثماني سنوات: في هذه المرحلة - مع استمرار حفظ وفهم القرآن - نستكمل تعليمها الحياء: فنعلمها 'الاستئذان قبل الدخول على الدوايين - كما جاء في سورة النور - وقبل دخول أي مكان حتى ولو على إخوتها. وأن يكون صوتها خفيضاً - خاصة أمام غير المحارم - ولا ترفعه بالضحك أو حتى عند الغضب؛ وألا تمشي وسط الطريق؛ وإنما عن يمينه أو يساره'

وأن تتعلم حدود عورتها أمام غير المحارم، وأمام نساء المسلمين

ولعل بعض الأمهات يخطئن بشراء الملابس الخليعة لبناتهن - ومنها لباس البحر المبالغ في تبرجه - بحجة أنهن لا يزلن صغيرات، ولكن المشكلة أن في ذلك تشبه بالكافرات، كما أن الحياء لا يتجزأ ولا يرتبط بمكان.

من تسع سنوات إلى أحد عشر عاماً: في هذه المرحلة 'يرقى فكر الطفلة وتنوع خبراتها، وتتسع مداركها، وتنمو قدراتها على التأمل والتخيل، وتتحول إلى طاقة إيمانية مستعدة لتقبل أوامر ربها، وتنفيذها أكثر من أي مرحلة أخرى في حياتها الماضية والمستقبلية؛ فإذا وجهت الطفلة الوجهة السليمة نحو الإيمان والخير، اندفعت إليهما في تعلق وشوق. لذا فإن دور الوالدين في هذه الفترة أن يستغلا هذا التطور الإيماني في نفسها، وأن يعملوا على تقوية عقيدتها بالله التي سترى فيهما خير عون لها على تقبل ما تتعرض له من آلام الواقع، وصرعات الحياة.

ومن المهم في هذه المرحلة - التي تسبق سن التكليف بالحجاب - أن نحكي لهن عن نماذج للعفيفات من السلف الصالح، مثل:

- عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها التي قالت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر: 'كنت أخلع ثيابي في حجرتي ولم أكن أتخرج، أقول: زوجي وأبي، فلما دفن عمر رضي الله عنه، كنت أشد علي ثيابي حياءً من عمر!!

- فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم التي لم تعجبها طريقة وضع الثياب على المرأة وهي ميةتة خوفاً من أن تصفها، فقالت لأسماء بنت أبي بكر: يا أسماء إنني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحتها عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا مت فغسليني أنت وعلي، ولما يدخل علي أحد، فلما توفيت رضي الله عنها غسلها علي وأسماء.

مرحلة الثانية عشرة حتى السادسة عشرة: في هذه المرحلة تكون ابنتك قد بلغت سن التكليف أو قد لا تكون، فإذا بلغت فعليك أن تخبرها - بلطف - أن موعد إقامة حفل حجابها قد حان، فإن استجابت عن طيب خاطر، فبها ونعم.

وإن لم تستجب، فإليك ما نصحت به الأستاذة نفين السويضي لمعالجة هذا الأمر، تقول: قد يبدو ما سأقوله محبطاً، ولكنها الحقيقة التي يجب أن نتفهمها حتى نستطيع التعامل معها، فما تمر به ابنتك وما تجدينه من صعوبة في إقناعها أمر طبيعي جداً، خاصة في مرحلة المراهقة التي تتسم بالعداوة والرفض، والرغبة في إثبات الذات - حتى لو كان ذلك بالمخالفة لمجرد المخالفة - وتضخم الكرامة العمياء التي قد تدفع المراهق رغم إيمانه بفداحة ما يصنعه إلى الاستمرار فيه، إذا شعر أن توقعه عن فعله سيثوبه شائبة أو شبهة من أن يشار من أن قراره بالتوقف عن الخطأ ليس ذابحاً من ذاته وإنما بتأثير أحد من قريب أو بعيد.

دعيني أوضح لك شيئاً هاماً، وهو أن أسلوب الدفع في توجيه البنت وتعديل سلوكها، لن يؤدي إلّا إلى الرفض والبعد، فكما يقولون: إن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القوة ومضاد له في الاتجاه. ويتوازى مع هذا الأمر أن تشاركها في كل ما تصنعه في أمور التزامك في أول الأمر من خلال طلب رأيها ومشورتها، وكأن هدفك - بل هو في الحقيقة ما يجب - تقريب العلاقة وتحقيق الاندماج بينكما..

بمنتهى الحب والمتفاهم تقولين لها:

- حبيبتي تعالي سمعي لي القرآن الكريم الذي حفظته.

- حبيبتي ما رأيك في هذا الحجاب الجديد، ما رأيك في هذه الرابطة ..

كل هذا وأنت تفضين أمام المرأة تستعدين للخروج مثلاً... وهكذا من دون قصد أو صليها بالطاعات التي تفعليها أنت.

مرحلة السابعة عشرة وما بعدها: إن لم يمن الله عليها بالحجاب حتى هذه المرحلة، فلا تقنطي من رحمة الله، واعلمي أن لحظة التوبة في علم الله، قد تكون قريبة أو بعيدة، المهم ألا تتوقضي عن محاولاتك ...

وفي هذه الحالة يمكنك أن تتبعي معها أسلوب الحوار الهادئ الهادف، وأن تترك لها حرية الإجابة على الأسئلة المتتالية:

- هل تحبين يا ابنتي أن تأخذي سيئة بكل شعرة ظهرت منك لغير المحارم؟

- تذكرني أنك كلما خرجت من بيتك سافرة حصلت على سيئات بعدد من رأيك من غير المحارم فهل حسناتك تعادل هذا الكم من السيئات؟!

- هل تبيعين دنياك الفانية بالآخرة الباقية؟

- إن من أثر دنياه على آخرته خسرها معاً، ومن أثر آخرته على دنياه ربحها معاً هل يسرك أن يكون الله عز وجل مستاء لعدم حجابك؟

- هل تقبلين أن تكون النساء في الجاهلية قبل الإسلام أفضل وأتقى منك؟ ... لقد كن يسترن عوراتهن إلا قليلاً من الشعر الموجود بناصية الرأس، وفتحة الجيب فقط !!

- هل أنت مصرة على أن تقولي: 'لا' لأوامر الله تعالى كلما ظهرت أمام غير المحارم بغير الحجاب ... لا أظن أنك تتعمدين ذلك... ولكن عدم حجابك ليس له معنى إلا ذلك !!

- هل تستطيعين مقاومة الموت وتظلي على قيد الحياة لتهربي من حسابك ربك؟ ... إن الموت قدر كل الكائنات، وهو مغادرة كل مباحج الدنيا وزينتها، وملابسك وعطورك ومساحيق الزينة، وحليك وغير ذلك مما تحبين، فهل تغادريها إلى عزة وكرامة في القبر وفي الجنة، أما إلى ذل وهوان في القبر وفي النار!

- هل تقبلين أن تكوني من الضجار الذي قال الله تعالى عنهم: {وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الأنفطار: 14]؟

- لعلك تعلمين أن 'الحياء ضد الفجور وهو يعني عدم الخشية من الله تعالى، والمجاهرة بالمعصية'، وهو ما فعله المصرة على عدم ارتداء الحجاب!

وماذا بعد الحجاب؟

بعد أن ترتدي الفتاة الحجاب لابد أن تحافظ عليه وتكون على قدر مسؤوليته ظاهراً وباطناً ولذلك ينبغي أن تسمع منك ابنتك مثل هذه الكلمات:

- ابنتي إنني والله لئن شرحت صدري كلما رأيته وقد استسلمت لأمر الله وسعدت بحجابك، كما تطيب نفسي كلما رأيت مسلمة جديدة وقد حباها الله - مثلك - بالحجاب الشرعي، وأشعر بأن زيادة عدد المحجبات ما هي إلا بشارات لعودة الفطرة السوية للطفو فوق ما على قلوبنا من جهل وبعد عن ديننا!!!

فالمحجاب يا بنيتي خطوة واسعة على طريق الفوز بمحبة الله تعالى ورضوانه. ولكنها ليست نهاية الطريق. فإن وقفت عنده، فالخوف عليك من الشيطان أن يعيدك إلى ما كنت عليه قبل المحجاب...

- وإن مشيت في طريقك قدماً هياً الله لك من أسباب الخير وفتح لك من أبواب الطاعة من تقر به عينك وتهناً معه نفسك وتسكن به جوارحك فإستمرري ولما تلتفتي إلى الوراء، بل اشكري المولى القدير وحاولي إنقاذ من حولك من صويحباتك وغيرهن من النار، تشجيعهن على اتخاذ هذه الخطوة المباركة، بالرفق ولين الجانب، والحكمة الموعظة الحسنة؛ وواظبي على ذكر الله وحضور مجالس العلم الشرعي، فهناك ستجدين الكثير من الأخوات الصالحات اللاتي يتفق طبعك مع طباعهن، وتعين كل منكن الأخرى على المزيد من الطاعة، وعلى الثبات إن شاء الله؛ فتفزن جميعاً بثواب الأخوة في الله، وتجتمعن على منابر من نور حول عرش الرحمن يوم القيامة إن شاء الله

قمر المطائف